

الفرقان
في تفسير القرآن
بالقرآن والسُّنة

الفرقان

في تفسير القرآن

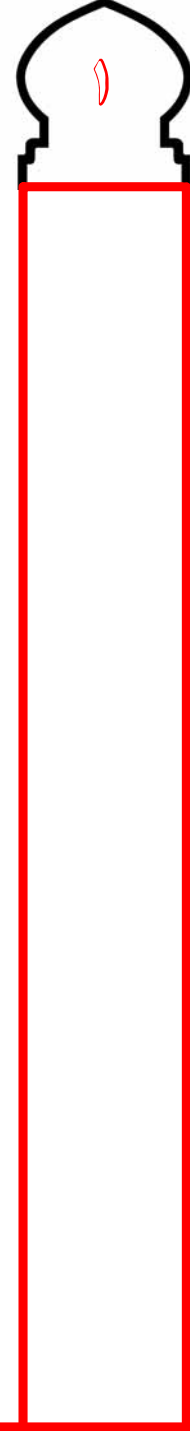
بالقرآن والسنة

الجزء الثاني

تتمة سورة البقرة

سماحة الشيخ

الدكتور محمد الصادقي



تتمة

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ

مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
 مُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
 يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِبِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا
 وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا
 فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ
 مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
 هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِيَّةَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا
 فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾

عرض لنعم عشر بعد ما أجملت في ﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ترسم أمام
 الاختلاف مشاهدا التي كانت للإسلام، استحياء لمشاعرهم صور الكروب
 التي عاشها آباؤهم وأنجاهم الله منها وهم قابلوا نعمة الله بالكفران وبدلوها
 كفراً فأحلوا قومهم دار البوار، عظة للأخلاف لكي يخالفوا الأسلاف في
 الكفران والطغيان.

﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ (١) يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
 وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ :

نعمة أولى أن أنجاهم الله عن سوم العذاب، فالإنجاء من النجاء
 والنجوة والنجاة هو الفصل إلى علٍ، مكان مرتفع بعيد عن الأذى.

(١) «فرعون» اسم لملوك العمالقة كما قيل: «قيصر» لملك الروم و«كسرى» لملك الفرس و«خاقان»
 لملك الترك و«تبع» لملك التبابعة، إذا فرعون لقب عام وقد كان في مصر فراعنة تلو بعض
 وفرعون موسى هو «رامسيس الأول» وقد رأيت جسده في معرض الآثار القديمة في القاهرة،
 وهو تصديق لقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنَّاكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢].

وسوم العذاب هو دوامه في دوامة لمرعاه، كماشية سائمة ترعى دائمة، ولكنها ترعى في المرعى الكلاء، وهم يسأمون في المرعى البلاء، كأنها لهم غذاء، كما الكلاء دائمة للماشية السائمة.

فهذه الطغمة الطاغوتية النكراء كانت تسومهم سوء العذاب، كذب الأبناء واستحياء النساء دونما انقطاع، وكأنه نعمة يمنون بها عليهم فعليهم الشكر كما السائمة في الكلاء.

وعدم العطف في ﴿يَذَّبِحُونَ﴾ - و﴿يَسْتَحْيُونَ﴾ يعطف بنا إلى أنهما فقط سوم العذاب، بياناً ردفاً دون عطف لسوء العذاب، وكما في أخرى: ﴿... يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ و...﴾^(١) مهما عطفنا في ثالثة عليه ﴿... وَيَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ و...﴾^(٢) آيات ثلاث في صيغة واحدة إلا في ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ الوسطى وعطف الأخيرة، وهذا العطف لا يعني إلا أنهما من أسوأ العذاب الذي كانوا يسامونه: قتل الأبناء تضيغاً لساعدهم، واستحياء النساء خدمة لآل فرعون ومتعة جنس.

فتقتيل الأبناء إبادة للنسل والساعد، وعزاء دائب، واستحياء النساء: إبقاء لحياتهن خادمت، وإفناء لحياتهن في دعارات^(٣) عذاب فوق العذاب، على ما ينالهن وغير الأبناء من سوء الخدمات الإجبارية، دون مقابل إلا الإبقاء على رمق الحياة قدر ما يخدمون، وفي الحق أن استحياء النساء كان أصعب عليهم وأنكى من تقتيل الأبناء!

وترى هل الأبناء المذبذبون هنا هم - فقط - الولائد حين الولادة كما

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٦.

(٣) الاستحياء هو طلب الحياء إبقاء وطلب الحياء إزالة فهما - إذأ - معنيان كما هما الواقع في آل فرعون.

تدل عليه روايات؟ أم هم الأبناء، ولائد أم كباراً ما هم أبناء، كما تدل عليه الآيات؟

لا ريبة هنا في العموم، حيث يشمل - لأقل تقدير - الأبناء الذين ولدوا منذ أخبر فرعون أنه سيولد فيهم من يهلك سلطانه، فالذين تنالهم أيدي البغي يُقتلون حين ولادتهم، ومن يفلت حينها يُغتال أياً كان وأيان، وإن كان بالغاً حدّ الغلظة أم زاد.

ثم النساء هنا أعم من الولائد واللّدات والكبيرات، فهن معفو عنهن في هذا النظام، خدمة للجنس ولآل فرعون.

وترى أن البلاء العظيم هو فقط سوم العذاب؟ أم وإنجاءهم من سوم العذاب؟ لفظة البلاء تشملهما بلاء سيئاً وحسناً ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ البعيد المدى من سوء البلاء وحسنه ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ﴿وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً﴾ (١) ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢).

وترى كيف ينسب سوء البلاء - بجنب حسنه - إلى الله وهو من آل فرعون؟ إنه سوء العذاب من آل فرعون ظلماً وطغياناً حيث افتعلوه، وبلاء عظيم من ربكم إذ أمهله ردحاً من الزمن دون ردع تسييراً ومنعاً، امتهاناً لهم وإملاءً ليزدادوا إثماً ولهم عذاب اليم، ثم وامتحاناً لكم وبلاءً حسناً بعد هذا البلاء لكي تستعظموا نعمة ربكم بإنجائكم وتشكروه، فإن فرعون عبّد بني إسرائيل واعتبره نعمة عليهم وعلى موسى الرسول ﷺ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٣) فسامهم بذلك سوء العذاب.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢.